

كلمة الدكتور نادر سراج في المحتفى به

ثلاثيات رؤوفية على ضفاف انطلياس

التربية والتعليم فضاءً جامعاً كان له فضلٌ لقائي الأول بصديق العمر عبد الرؤوف سنو. معاً عملنا في إطلاق مؤسسة الحريري في منتصف الثمانينيات، وضمن فريق عمل واحد شيدنا جسر المحبة والتواصل عن طريق إدارة وتنظيم أول عملية وطنية شاملة لتوزيع مساعدات غذائية على طول خارطة الوطن. ومذذاك لم تعرف علاقاتنا العائلية منها أو الشخصية أو الجامعية وهناً، بل اشتدت وأصرها بمرور السنين والأيام.

ثمة خصالٌ ولاءٌ ونعماتٌ وكفاءاتٌ ثلاثيةٌ تتداخلُ في شخصية المكرّم، وتبدو جليةً للعيان في مختلف سلوكياته.

فهو كما يعرفه محبّوه وزملاؤه وطلابه مجلٌّ ومثابِرٌ ومعطاءٌ في العوالم المتداخلة التي تسمّى حركة الأستاذ الجامعي الكفو؛ وأعني بها التدريس الجامعي والبحث والتأليف.

لكن هذا الجانب المهني الذي صرف فيه سنواتٍ مديدةً من عمره موسومٌ بنعماتٍ ثلاثة في مقابل لاءاتٍ مماثلة.

عُرِفَ عنه أنه يجهر بنعمه للأطاريح والأبحاث الجامعية متى استوفت علمية منطلقاتها، أو المنهجية المتبعة في طرائق عملها وتحليلاتها، أو لجهة وضوح إشكالياتها وتكامل معالجاتها وتقسيماتها.

هذه النعماتُ تصطدمُ أحياناً بلاءاتٍ محقّة يرفعها أستاذ التاريخ الحديث حينما تدعو الحاجة، أو في مواجهة إلحاحات ومدخلات غير بريئة: لا للمحاباة والتملّق؛ لا للتهاون البحثي الأكاديمي من سرقات أدبية موصوفة (تناصّ في غير محله) أو استعارات كيفما اتفق؛ لا لمنح الدرجات والترقيات والتقييمات وما إليها بدون مسوغات.

ونصلُ إلى خصالٍ ثلاثٍ تختصرُ المسارين الشخصي والأكاديمي لصاحب كتاب "حرب لبنان": فصاحبُه صاحبٌ، وصدّاقته مستدامةٌ (تدوم وتدوم)، والمجاهرة بقول كلمة الحقّ سمةٌ معروفةٌ عنه، حتى لو كلفه ذلك أثماناً وأثماناً. أما طيبة القلب والسماحة اللتان لطالما عُرِفَ بهما، فهما في الحقيقة جواز عبوره إلى قلوب أصدقائه وزملائه ومحبيه، والعبء الفقيرُ واحدٌ منهم.